

ما هو الحادث ؟

في معرض حديثنا عن الخطر يتردد لفظ حادث أو حادثة بموجب أن الخطر بمثابة إخطار بحادث يوشك أن يقع أو مقدمة له. فما الحادث الذي يحذر منه؟

هو فعل عنف سلبي النتائج، يخلف ضرراً مادياً أو معنوياً يتوقف التعامل معه على قدرة احتوائه وسرعة الاستجابة له، فإما إيجابية تقضي عليه في مهده أو تضعف حدته بمواجهة متبصرة متحاشية الارتباك قدر الإمكان وضبط الأعصاب فتكون فاعلة المواجهة قادرة على السيطرة من بدايات الوقوع .

وإما أن تكون سلبية غير رشيدة عشوائية تزيد عنفواناً تطيش فيه التصرفات وتتخبط المواجهة غير قادرة على مسك زمام السيطرة يشق على المتورطين فيه مغالبتة فتتوسع دائرته إلى أسوء بسبب سوء إدارة الحدث التي تأتي نتيجة قصور ثقافة الخطر التي لا تثيرها إلا ثقافة مضادة لها ، وهي :

ثقافة السلامة :

بداية نود أن نقرر فهماً عاماً يقف بنا على أرضية استدامة السلامة وعرضية الخطر لمعرفة أيهما يستوجب استدامته ومن يتوقى من عرضيته وهذا يعني أننا نستديم أحدهما ونكبت عرضية الثاني؟ في معرض استطراد تفصيل كلمة سلامة وشرح مفهومها وفلسفتها وتأصيلها الشرعي انتهينا إلى أن السلامة شريان الحياة

وهو ما يشير إلى أنها حالة مستمرة الديمومة تتوقف ديمومتها على حيادة دواعي الخطر ومعالجته في محض تكوينه، فكلما كبت الخطر تحققت السلامة واستدام ثباتها وهو ما يوصلنا إلى استنتاج أن السلامة مرهونة بزوال الخطر فإن أزلنا دواعي الخطر استبقينا موجب السلامة .

وإذا كنا قد سلطنا الضوء على ثنائية التضاد القائمة على مبدأ الموازنة بين كل ضدين في الحياة إلا في ضدي السلامة والخطر فلا موازنة فيها فحالهما يختلف إذ يجب أن يكون الخطر تحت السيطرة بأضعاف أسبابه ويغلب جانب السلامة وتقوى عواملها باعتبار أن إزالة الخطر دليل الوصول إلى عتبة السلامة من منطلق أن حياة البشر قائمة على قاعدة (أزل الخطر تنجُ بسلام).

فالخطر مقوِّض للحياة وهادمها وهو بذلك لا يستوي أن يكون مقوم الحياة لأنه لا يشكل أساساً لها. فأين أساس الحياة؟ لو تفحصنا مُسَلِّمات البقاء وأسس المعاش ومتطلبات الإنسان وضرورات حياته نجد أنها قائمة على السلمية فإن فقدتها بارت الحياة وفسدت المعاش.

ومن هنا نخرج بتقرير: إن السلامة أساس بناء الحياة في عدمها تنعدم وفي وجودها تقوم ، وأما الخطر فهو طارئ (عرضي) وبما أنه طارئ فهو ليس أسساً بل هو خلل طرأ على مقوم أساسي من مقومات الحياة تجب معالجته قبل أن يتضاعف و يكبح جماحه وفق منظومات وتدابير الوقاية .

وعلى هذا الأساس كان لزاماً أن يعي كلُّ إنسان أنه ملزوم
باعتداد السلامة قاعدةً لمجريات حياته يضعها في جد اهتماماته
يمنحها عنايته. وهنا تتجلى ثقافة السلامة مقابل ثقافة الخطر، أي
الوعي بماهية الخطر وما يترتب عليه من إصابات مميتة أو مهلكة
أو متقلّة أو مخربة بنتائجها المدمرة، فإذا عرفنا الخطر عرفنا ما
يدروّه ، وإذا عرفنا مهالكه عرفنا كيف ننقيه ، ومن لم يَعر مقدار
الخطر فلا يقيم للسلامة وزناً أو يوجد تدابيرها ، فهو كمن يشرع
ببطء في الانتحار أو كمن يلقي بنفسه في التهلكة وهو يرى
ويسمع.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(١)
ويقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾^(٢).

أي هي دعوة لتلافي كل مكروه أو مصاب أليم والعمل على
اتقائه، كلما تدنّت ثقافة الخطر تدنّت ثقافة السلامة، فلكي ننشد
ماهية السلامة يجب أن نعي ماهية الخطر ، فإن انعدمت معرفة
الخطر نمت فرص احتمال وقوعه وازمحت فرص السلامة منه،
وما من إنسان إلا يدرك بفطرته دوائر الخطر إلا أن درجة
الإحساس به تتفاوت من شخص لآخر.

ثقافة السلامة تعني أن تُكرّس معانيها في كل تناولات الإنسان
ونشاطاته آمناً على نفسه وماله ومتعلقاته من غوائل الحوادث

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

ومترتباتها ، من أجل أن نرسخها سلوكاً نعتاده ومنهج حياة نطبقه ونُغيرها كبير الاهتمام كأنما هي حارسٌ ضد الحوادث وآلامها.

وعلى ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نغرس التربية الأمانية، ونتعلم كيفية نحمي أنفسنا وأهلينا وأموالنا ومكتسباتنا من مدلهفات الأخطار ومجاهل المهلكات وفجائية المحدثات. فإن تعلّمنا هذا النهج فسوف نفتح أعيننا على مواطن الخطر ونتجاوب مع ما يثير الانتباه لنستبق خطوبها لننعم بجو الاستقرار ومناخات الأمان في مقراتنا وأعمالنا ومتصرف شئوننا وترسيخ هذا النهج في وجدان الأبناء؛ ليعوه وعياً تعباً به نفوسهم.

بهذا المعنى يمضي الإنسان مطمئناً يبحث عن قوته يسد حاجته آمناً على بقائه فاعلاً ومتفاعلاً مع عناصر بيئته دون خوف يغوله بعد أن أعد لسلامته عدتها، وهياً لأمانه متكأها، وأتكل على ربه بها.

وإذا ما حققنا شيئاً من ذلك الترسّخ وأصبح متأصلاً في النفوس، أسلمنا أمرنا إلى الله بعد أن أدّينا متطلباتها ، نطلب منه تعالى أن يبارك لنا فيما هياً من أسباب السلامة وسبل الوقاية وتدابير الحماية من كل هول ومصيبة ومن كل حدث وريبة في مقتل أو موجد أو مضرة، وفي هذا يكون الإنسان آمناً على بيته إذا أوجب له ما يؤمّنه بعد الله، لا ترهقه ضيقة أو تهدده خشية، مُسَلِّماً الأمر كله إلى ربه بعد الأخذ بالأسباب والتوكّل عليه.

يسألني أحد طلبتي يقول: عشنا ونعيش في بيوتنا ولم يحدث لنا أي حادث، ويردّف قوله بقسم أنه لا يوجد في بيتهم أي وسيلة

سلامة بل ولا يوجد مجرد هاجس من قبيل هذا، ولم يطرأ على بالهم إمكانية حدوث أحداث مما تقول ونسمع عنه وأردف قائلاً: فجأة في يوم جمعة بعد أن أدينا الصلاة، وفي طريق عودتنا سيراً على الأقدام، وإذا بنا نسمع صياحاً وعويلًا ودخاناً يتصاعد من بين أسطح المنازل، فزعنا نسرع الخطى فإذا بنا نتفاجأ أن الدخان يتصاعد من بيتنا، فأخذ كلُّ منا يستنفر نفسه. يقول: تصوّر! كنت أحاول إدخال المفتاح في باب الشارع ويدي ترتعش، فلا أكاد أحسن إدخاله من شدة الرعب الذي انتابني على والدتي وإخواني الصغار، فلبثتُ بعضاً من الوقت أحاول استجماع قواي وأسيطر على فرائسي لكن دون جدوى.

وبعد محاولات استطعتُ فتح الباب فوجدت والدتي وقد ألهمها الله الخروج إلى الحوش مع صغارها، فكان ذلك المنظر قد خفف عليّ شيئاً قليلاً من الروع، في حين كانت النار بالمطبخ تتأرجح، ومن لطف الله أن أسطوانة الغاز كانت خارجه، كنا قد خرقنا الجدار وأدخلنا خرطوم (لي) الأسطوانة الموصل بالغاز، وكان هذا أيضاً مرد تخفيف آخر إذ استطاع أحد إخواني فصل اللي لإيقاف تدفق الغاز؛ وإخفاض شدة الحريق.

ثم هرعت بدوري إلى قفل قاطع الكهرباء لفصل التيار، وحاولنا مكافحة الحريق و كان في الأمر صعوبة نظراً للارتباك الشديد إذ تصاعدت الأدخنة وانبعثت الأبخرة ، فغمّ علينا الدخان حيث سقط أحد إخواني من أثر الدخان أسرعنا إلى إخراجه وتولى أحد الجيران نقله إلى المستشفى.

أما النار فبدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً، إلا أن البيت امتلأ دخاناً وأصاب النفوس هلعاً ورعباً، وتعالّت صيحات طلب النجدة وبعد محاولات قضينا على الحريق حيث حان ترديد مقولات اللوم، كلٌ يلقي على الآخر حتى حسمت والدتي المسألة وقالت : أنا أتحمّل المسؤولية، فالأمر بدأ بسيطاً، حيث ارتفع لهب المقلاة وبدل أن أغلق عين الفرن فتحت الثانية من حيث لا أدري مما أدى إلى اشتعاله، ومع احتدام النار رأيتُ أن أغادر المطبخ إلى الحوش مع صغاري؛ تحاشياً أن يطولني الحريق وأقع في ورطته.

شاهدنا هنا: أن الحوادث تبدأ صغيرة ، تحتاج إلى إلمام ولو كان بسيطاً بطريقة التصرف السريع، وهو ما نريد أن نتوصل إليه، أن نوفر معرفة ولو قليلة مع التحكم وضبط الأعصاب قدر الإمكان والإلمام بكيفية التعامل مع الحوادث نربي عليه نفوسنا وأولادنا وأهلينا لنحسن التصرف في الأوقات الحرجة .

